جامعة عين شمس

كلية الألسن

قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان:

الصورة الشعرية في مدائح البحتري
من المُكوِّن التشكيلي إلى القراءة الثقافية

إعداد الباحثة:

نهى مختار محمد يوسف

المعيدة بالقسم

إشراف:

أ.د محمد عبد الرحمن شعيب

أستاذ البلاغة والأدب والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الألسن

أ.د سعاد صالح عبد المطلب

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الألسن

١٤٣٨هـ

٢٠١٦-٢٠١٧م

جامعة عين شمس

كلية الألسن

قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير بعنوان:

الصورة الشعرية في مدائح البحتري
من المُكوِّن التشكيلي إلى القراءة الثقافية

اسم الطالبة: نهى مختار محمد يوسف

الدرجة العلمية: الماجستير

اسم الكلية: الألسن

اسم الجامعة: عين شمس

سنة التخرج: ٢٠١٠م

تاريخ التسجيل: ٢٠١٤/٥/٧

تاريخ المناقشة: ٢٠١٦/١٢/٣١

التقدير:ممتاز، مع التوصية بتبادل الرسالة بين الجامعات.

رسالة ماجستير

اسم الطالبة: نهى مختار محمد يوسف

عنوان الرسالة: الصورة الشعرية في مدائح البحتري من المكون التشكيلي إلى القراءة الثقافية.

الدرجة: ماجستير

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة:

- **أ.د محمد عبد الرحمن شعيب (مشرفا ومقررا)**
  أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية الألسن
- **أ.د حسن أحمد البنداري (عضوا)**
  أستاذ البلاغة والنقد بكلية البنات جامعة عين شمس
- **أ.د عاطف السيد بهجات (عضوا)**
  أستاذ النقد الأدبي الحديث بكلية الألسن
- **أ.د سعاد صالح عبد المطلب (مشرفا)**
  أستاذ الأدب والنقد بكلية الألسن

تاريخ المناقشة: ٢٠١٦/١٢/٣١م.

الدراسات العليا:

ختم الإجازة: **أجيزت الرسالة بتاريخ: / /**

موافقة مجلس الكلية: / / **موافقة مجلس الجامعة: / /**

"رَبِّ اشرَحْ لي صَدرِي(٢٥) ويَسِّرْ لِي أَمرِي(٢٦) وَاحْلُل عُقدَةً من لِسَاني(٢٧) يَفقَهُوا قَولي(٢٨)"

(سورة طه ٢٨:٢٥)

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد حمد الله تعالى على فضله ونعمه أتوجه بخالص الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي العالم الجليل **أ.د محمد عبد الرحمن شعيب** أستاذ البلاغة والأدب والنقد بقسم اللغة العربية بالكلية، وعميد كلية الألسن الأسبق ورئيس قسم اللغة العربية الأسبق الذي منحني الشرف العظيم حين قبِل الإشراف على رسالتي وأتاح لي فرصة التعلم بين يديه والإفادة من علمه الغزير وبحره الواسع، فجزاه الله عني خير الجزاء ومتعه بوافر الصحة والعافية، نعم المعلم ونعم الأب.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير والمحبة لأستاذتي الأديبة الكريمة **أ.د سعاد صالح عبد المطلب** أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بالكلية التي غمرتني بفضلها وكرمها منذ أن التحقت بقسم اللغة العربية في السنة الأولى وتعلمت على يديها كيف أقرأ الشعر الجاهلي وأتذوقه وحتى أسعدتني بقبول الإشراف على رسالتي وتحملت عناء المتابعة والإرشاد والتوجيه والمراجعة فكانت نعم المعلمة والمرشدة ونعم الأم والأخت والصديقة والمعينة فجزاها الله خير الجزاء ومتعها بتمام الصحة والعافية والسعادة.

وأتوجه بجزيل الشكر والتقدير وعظيم الاحترام إلى العالم الجليل والأديب **أ.د حسن أحمد البنداري** أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية بكلية البنات جامعة عين شمس على تفضله بقبول مناقشة هذه الرسالة وتحمل تبعاتها الثقيلة من تصحيح ومراجعة أسأل الله أن يكون كل حرف فيها في ميزان حسناته وأن يجزيه الله عني خير الجزاء ويمتعه بالصحة والعافية.

وأتوجه بخالص الشكر والتحية والتقدير والاحترام إلى **أ.د عاطف السيد بهجات** أستاذ النقد الأدبي الحديث بقسم اللغة العربية بالكلية على تفضله بقبول مناقشة الرسالة وتحمل عناء المراجعة والتصويب وقد غمرني بفضله وكرمه منذ أن كانت تلك الرسالة خطة مقترحة لنيل درجة الماجستير في الحلقة البحثية للقسم وأفادني وأمدني بمراجع علمية مهمة، وكان دائم المتابعة والإرشاد، فجزاه الله عني خير الجزاء، ومتعه بالصحة والعافية والسلامة.

ولا يفوتني في هذا المقام الجليل أن أتوجه بعظيم الشكر وخالص التقدير والاحترام والامتنان لأستاذي **أ.د سيد محمد السيد قطب** أستاذ الأدب والنقد بالكلية على كرم لا يوصف بكلمات وعطاء لا يوفيه حقه إلا الله عز وجل، فكم أفادني وأرشدني وهداني السبيل، أسأل الله أن يجزيه عني وعن طلابه خير الجزاء ويمتعه بالصحة والعافية والسلامة.

وأخص أستاذتي الفاضلة **أ.د فاطمة الصعيدي** ابنة الألسن وممثلتها في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة حلوان بعظيم شكر وامتنان ومحبة على كل معروف أسدته إلىّ وكل إفادة علمية وأدبية ساعدتني في إخراج هذه الرسالة على هذا الوجه.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل أساتذتي وزملائي في قسم اللغة العربية الذين تعلمت منهم وصحبتهم ونهلت من نبل أخلاقهم ومن علمهم الواسع وكرمهم الجم، وأخص منهم أد. محمد العبد، أ.د فايزة محمد سعد، أ.د أحمد يحيى، وريحانتي القسم: د.هدى باز ود.نورهان عبد الرءوف، ولو اتسع المقام لأفردت لهم ولكثير من أعضاء أسرتي الكبيرة سطورا من الشكر والتقدير والدعوات.

وختاما أتوجه لأسرتي الحبيبة أمي وأبي وإخوتي بصادق الحب وعظيم الشكر على كل ما فعلوه لأجلي، الذين لولا فضلهم ورعايتهم بعد المولى عز وجل ما كنت وصلت إلى ما وصلت إليه، والله أسأل أن يجزيهم عني خير الجزاء ويمتعهم بوافر الصحة والعافية والسعادة.

أسأل الله التوفيق والسداد والوفاء، وأن يغفر لي ما كان مني من خطأ وزلل، وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وبه أستعين وإليه أنيب.

المقدِّمة

إن قراءة النصوص التراثية العربية تماثل فكرة التنقيب عن الآثار والكنوز التي تحتفظ بها الأمة وتشكل بها ثقافتها وتاريخها وتحدد بها ملامحها وهويتها، تلك القراءة تتطلب تطبيق مناهج جديدة تعيد اكتشاف تلك الكنوز التراثية وتستخرج منها قيما جديدة من شأنها تعميق فهم التجربة الجمالية والثقافية التي يعكسها الإبداع بوصفه مظهرا حضاريا من مظاهر حضارة الأمم، ومن شأنها كذلك ربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل وإقامة جسور تواصل بينها تجعل للقيمة الجمالية والفكرة الثقافية معينا ممتدا يمكن تلمس آثاره عبر العصور وكشف تحولاته ومساراته وتغيّر ملامحه من جيل إلى جيل.

وفي هذه الدراسة يمثل ديوان البحتري هذا التراث، الذي يمكن - بإعادة قراءته قراءة بلاغية وثقافية- كشف ملامح جديدة تسكن تجربة الشاعر الدالة على رؤية جمالية وثقافية تشغل مساحة واضحة في تاريخ الإبداع العربي؛ بوصف الشاعر البحتري صاحب بصمة وراثية يمكن من خلالها استخلاص كثير من ملامح الثقافة العربية في طورها العباسي الذي ينتمي إليه الشاعر الذي يعد امتدادا لعصور سابقة وإرهاصا لعصور قادمة.

ويختص البحث بقراءة **"الصورة الشعرية في مدائح البحتري من المكون التشكيلي إلى القراءة الثقافية"** ومحاولة كشف العلاقة بين الجمالي والثقافي كما تعكسه قصيدة المدح بوصف الصورة الشعرية ذات بعدين: جمالي تشكيلي، والآخر ثقافي يشارك المبدع في تشكيل نصوصه.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى محاولة الجمع بين الدرس الجمالي والدرس الثقافي عن طريق تطبيق ذلك على دراسة الصورة الشعرية في مدائح البحتري التي يمكن من خلال تحليلها التوصل إلى بعض ملامح الرؤية الجمالية والرؤية الثقافية التي يرى بها المبدع تجربته الخاصة التي تتماس مع تجربة الإنسان الكلية في الكون، كما تهدف الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما العلاقة بين الصورة والثقافة في قصيدة المدح كما يمثلها البحتري؟
- ما المصادر الكبرى التي يشكل منها المبدع صوره الشعرية، وما علاقتها بتجربة المدح؟
- ما سمات العالم الموازي الذي يصنعه المبدع عن طريق الصورة والاستعارة؟
- ما الأنساق الثقافية المعلنة والمضمرة التي تسكن الصورة الشعرية وقصيدة المدح؟

مصادر الدراسة:

تعتمد الدراسة على ديوان البحتري بتحقيق حسن كامل الصيرفي، طبعة دار المعارف عام ١٩٦٣م، ويشمل الديوان تسعمائة وثلاثا وثلاثين قصيدة ومقطوعة من بينها أربعمائة قصيدة في موضوع المدح تم الاطلاع عليها كاملة واختيار مائة قصيدة منها مادة للبحث، وكانت أسس الاختيار أو المعايير التي تم اختيار القصائد من خلالها كالآتي:

١- شمول القصائد طبقات الممدوحين التي حصرها البحث في [الخلفاء- والوزراء- والكتاب- وقادة الجيوش- والولاة- والعمال- والمعارف العامة والصداقات].
٢- شمول القصائد أنساق المدح المعلنة لديه التي تشمل [المدح على الطمع- والمدح على الحاجة- والمدح على سبيل الرشوة- والمدح على الوفاء].
٣- اختيار القصائد بحسب جدة القصيدة وعمقها وتشكيلها الجمالي بحيث تحقق وفاء وغناء عن استحضار قصائد أخرى مع ضرورة الوضع في الاعتبار سائر الصور الشعرية التي ترددت في القصائد الأخرى التي تم الإشارة إليها في الهوامش لضمان صحة النتائج والحفاظ على منهجية البحث العلمي.

أدبيات البحث:

اعتنى الباحثون قديما وحديثا بشعر البحتري، ولكن لم تكن بقدر تلك العناية التي حظي بها رفيقاه في ميزان النقد: المتنبي ثم أبو تمام، وذلك أنه لم يصل إلينا مؤلف يختص بشرح ديوان البحتري كما شُرح ديوان كل منهما، وما قدمه أبو العلاء المعري(ت٤٤٩هـ) في كتابه "عبث الوليد" لا يمكن أن يعد شرحا حقيقيا للديوان بقدر ما أنه يتضمن أغلاط البحتري وملامح نقدية لبعض أبياته وقصائده، ونجد عند الصولي (ت٣٣٥هـ) في "أخبار البحتري" ما يمكن أن يقدم للقارئ فهما أعمق لإبداع البحتري؛ حيث أورد مناسبات بعض القصائد في عديد من الروايات والأخبار التي تكشف جوانب مهمة حول العملية الإبداعية بما يساعد على رؤية النص وفهمه بشكل أوضح، كما نجد في كتب النقد والبلاغة القديمة استشهادات كثيرة بشعر البحتري واهتماما بوضعه في مقارنة مع أبي تمام كما عند الآمدي (٣٧٠هـ) في"الموازنة بين الطائيين"، وكذا القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، والعسكري(ت٣٩٥هـ)، وابن رشيق (٤٥٦هـ)، والجرجاني (٤٧١هـ)، والسكاكي(٦٢٦هـ) والقزويني (٧٣٩هـ)وغيرهم.

وفي العصر الحديث توجد عدة مؤلفات تتناول إنتاج الشاعر من زوايا عدة، منها كتاب "طيف الوليد" لعبد السلام رستم (١٩٤٧م) الذي يتناول حياة البحتري، وكتاب"حول ديوان البحتري" لعبد السلام هارون وفيه دراسة نقدية جادة لم يخرج فيها عن عباءة التحقيق والضبط التاريخي واللغوي والعروضي أحيانا وقد نوّه فيه على الدور العظيم والجليل الذي قام به محقق الديوان حسن كامل الصيرفي الذي يعد الأساس الذي ساعد الباحثين وفتح الباب أمامهم وذلل لهم الصعاب لعمل دراسات حول ديوان البحتري بفضل إخراج التحقيق على هذا الوجه من الدقة والضبط والكفاءة، ولهذا أصدر كتابه هذا عام ١٩٦٤م أي بعد إصدار طبعة الصيرفي بعام واحد، أما بالنسبة لرسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت شعر البحتري فمنها رسالة بعنوان"الحركة النقدية حول البحتري" من كلية دار العلوم عام ٢٠٠٥م، ورسالة بعنوان "أثر الإسلام في شعر البحتري" من جامعة أم درمان ٢٠٠٦م، ورسالة بعنوان "البناء الفني عند أبي تمام والبحتري دراسة في الموازنات الأدبية" من كلية الآداب جامعة الإسكندرية ٢٠٠٧م، ورسالة أخرى بعنوان" الماء في شعر البحتري وابن زيدون دراسة موازنة" من فلسطين ٢٠٠٩م، كما اطلعت على رسالة بعنوان "أسلوب البيان في شعر البحتري" من جامعة بغداد ٢٠١٠م، تناول فيها الباحث تطبيق مباحث علم البيان على أبيات من ديوان البحتري ولم يتعداه إلى التحليل النقدي، وأخيرا حضرت مناقشة رسالة دكتوراه بعنوان"أثر شعر البحتري في الأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري" في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ٢٠١٥م، وبذلك يضاف جهدي إلى إنجازات السابقين ليكون لبنة جديدة في معمار البلاغة والنقد.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي في دراسة الصورة الشعرية من وجهة بلاغية عند البحتري، بكشف نوع الصورة وتحديد مجال المصدر ومجال الهدف والجامع بينهما، ثم ينتقل التحليل من المستوى الجزئي إلى المستوى الكلي الذي يعنى بتحديد المجالات الكبرى للصورة والأفق الدلالي الذي يحكم العلاقات المختلفة داخل إطار الصورة، كما تعتمد الدراسة على منهج القراءة الثقافية في قراءة الأنساق المعلنة والأنساق المضمرة في خطاب المدح بوجه عام وفي الصورة الشعرية على نحو خاص.

خطة الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، يليها الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع والفهرس.

- **المقدمة:** وتشمل أهداف الدراسة، ومصادرها، والمنهج المتبع فيها، ومراجعة لأدبيات البحث والدراسات السابقة، وعرض خطة البحث.
- **التمهيد:** البحتري ومحيطه الثقافي، وفيه عدة محاور:
  - الميلاد والنشأة.
  - ثقافة الشاعر.
  - السياق الثقافي.
  - التجربة الإبداعية.
- **الفصل الأول:** المرجعية والمنظومة الاصطلاحية بين القراءة البلاغية والقراءة الثقافية، وفيه ثلاثة مباحث:
  - الأول:مدائح البحتري في ضوء مفهوم مقتضى الحال.
  - الثاني:الصورة الشعرية في ضوء البلاغة والمكون التشكيلي.
  - الثالث:القراءة الثقافية.
- **الفصل الثاني:** الصورة الشعرية في مدائح البحتري "قراءة بلاغية"، وفيه ثمانية مباحث:
  - صورة الماء.
  - صورة السماء.
  - صورة الضياء.
  - صورة الحيوان.
  - صورة السيف.
  - صورة الجبال.
  - صورة الجواهر.
  - صورة الربيع.
- **الفصل الثالث:** الصورة الشعرية في مدائح البحتري "قراءة ثقافية"، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأنساق المعلنة في قصيدة المدح عند البحتري:

- المدح على الطمع.
- المدح على الحاجة.
- المدح على سبيل الرشوة.
- المدح على الوفاء.

المبحث الثاني: الأنساق المضمرة في الصورة الشعرية في مدائح البحتري

ويشمل:

- أولا: الموروث الثقافي للصورة المائية.
- ثانيا: الأنساق المضمرة في استعارة الشمس والقمر.
- ثالثا: صورة الممدوح وفكرة التنافس والتسخير والنموذج.
- رابعا: البعد الثقافي في ربط سياق الحرب بسياق الغزل العذري.
- خامسا: توظيف الصورة الجاهلية والصورة الأسطورية.
- سادسا: التورية الثقافية في مدائح ابن وهب.
- سابعا: قصيدة المدح وصورة الآخر في وصف الربيع.

ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة يليها ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

البحتري ومحيطه الثقافي

السيرة الذاتية مشاهد ولوحات يختص كل مشهد منها بموقف من مواقف حياة الإنسان، وبمجموع تلك المشاهد الجزئية تتكون الرؤية الكلية لتجربة الإنسان في الكون التي يمكن من خلالها تحديد ملامح هذه الشخصية ومحاولة الوصول إلى فلسفتها في الحياة ومعتقداتها ومسارها الفكري وطبيعة إدراكها. والإبداع مشهد مضيء ومهم من مشاهد السيرة الذاتية لدى المبدع، ويمثل بنفسه سيرة ذاتية للمبدع حيث يكشف عن ثقافته وإدراكه وتوجهاته وانفعالاته ومشاعره في ثوب جمالي أدبي خاص وغير مباشر، والبحتري (ت٢٨٤هـ) علم من أعلام الشعر العربي على مر العصور ينتمي إلى الحضارة العربية والإسلامية في طورها العباسي وشاهد عليها، وكان يمثل فيها نموذج الشاعر المثقف صاحب الكلمة وصاحب السلطة والوجاهة الاجتماعية والاقتصادية لقربه من الطبقة الحاكمة من الخلفاء والوزراء والكتاب والقادة، فلا تعبر تجربته عن بعد فردي خاص بقدر ما تحمل معها بعدا جمعيا يكون أحد مظاهر الحضارة العباسية؛ لأن الأديب مظهر من مظاهر هذه الحضارة ودليل من أدلتها من جهة ، ومن جهة أخرى فهو شخصية مؤثرة في حركة هذه الثقافة بل يسهم أحيانا كثيرة في تأسيس بعض الأنساق الثقافية التي تشكل الثقافة العامة للمجتمعات والأمم.

ولكي يتضح المحيط الثقافي الذي استقى منه البحتري معجمه اللغوي والدلالي والتصويري والفكري نعرض بإيجاز عدة مشاهد رئيسة في تجربته التي تخص المرسِل والفترة التاريخية التي عاش فيها والسياق الثقافي، وذلك عبر المحاور الآتية:

- الميلاد والنشأة.
- ثقافة الشاعر.
- السياق الثقافي.
- التجربة الإبداعية.

- **البحتري: ميلاده ونشأته:**

البحتري (٢٠٤-٢٨٤هـ) هو الوليد بن عبيد، أبو عبادة الطائي البحتري، وُلد بمَنْبِج، وهي بلدة عربية أصيلة بالشام اشتُهرت بجمالها وحسن موقعها بين حلب والفرات، نشأ فيها وتعلم في مدارسها وتخرج فيها، فشكلت حياة البادية ثقافته الأولى حيث جمال الطبيعة الملهم والعروبة الخالصة[١]، وكانت أشعاره الأولى في الفخر ووصف بعض مفردات الطبيعة من حوله، ولكن لم يخلُ شعره من المدح ، فقد ورد في كتب التراجم أنه "كان يمدح أصحاب البصل والباذنجان"[٢]، ويشير ذلك بالضرورة إلى أنه كان فقيرا ذا حاجة وإلا فما الذي يُلجئه إلى مدح هؤلاء؟

وتنقل البحتري بين مدن الشام؛ حلب وحمص والمعرة، وكان اللقاء الذي غيَّر مسار حياته وكتب لتجربته الخلود في حمص حيث قابل أبا تمام (٢٢٨هـ) وعرض عليه شعره، في الحكاية التي أوردها الصولي عن البحتري نفسه، يقول فيها: "كان أول أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت إليه خَلَّة، فكتب إلى أهل معرة النَّعمان، وشهد لي بالحذق في الشعر، وشفع لي إليهم، وقال: امتدحهم، فصرتُ إليهم بكتابه فأكرموني، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكان أول مال أصبته بالشعر"[٣].

ثم رحل البحتري بعد ذلك إلى العراق وأقام في بغداد دهرا طويلا اتصل فيها بالخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، وعاصر من الخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل والمعتز والمعتمد والمهتدي والمستعين، وعاش أزهى لحظاته في كنف المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان لمدة خمسة عشر عاما، وأثرى ثراء فاحشا بفضل المتوكل والمعتز، ولكن الحال أخذت تضيق به بعد مقتلهما، فمكث قليلا في العراق، وتعزى بإيوان كسرى في المدائن، ثم عاد إلى بلده بالشام، وتوفي بها، "وكان سبب موته مأكلا مسموما من وزير المعتضد خشية هجائه وفلتات لسانه، فدس إليه هذا المأكل في مجلسه، فلما أحس بالسم قام، فقال الوزير له: أين تذهب؟ قال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال: سلم على والدي، فقال: ما طريقي على النار، وخرج من منزله فأقام أياما ومات، وقد بلغ ثمانين عاما"[٤].

---

(١) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ج٦، ص ٢١.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج ١٣، ص ٤٤٧.
(٣) الصولي، أخبار البحتري، تحقيق: صالح الأشتر، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٧، ص٦٣.
(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ج٢ ص١٨٥.

- **ثقافته:**

نشأ البحتري في البادية نشأة عربية خالصة، وذلك يعني أنه تعلم الثقافة اللغوية من منابع فصيحة وسليمة، وتلقى شيئا من العلوم اللغوية والدراسات الإسلامية وعرف أشعار العرب، واتضحت هذه الثقافة اللغوية الواسعة في ديوانه الضخم الذي شهد له النقاد القدامى بالأصالة، وفضله النقاد التقليديون على شيخه أبي تمام لأجل وضوح معانيه والتزامه بالمعايير الشعرية الكلاسيكية الأصيلة إلى حد كبير دون الانجراف وراء العلوم الحديثة التي أخذت تظهر في ذلك العصر كالفلسفة والمنطق والرياضيات التي تأثر بها أبو تمام وابن الرومي المعاصران له، و وقد اتخذ البحتري موقفا مشهورا من تلك العلوم الحديثة بشأن تداخلها مع فن الشعر، ويتضح رأيه في قوله:

كلفتمونا حدود منطقكـــم والشعر يغني عن صدقه كذبُه
ولم يكن ذو القروح يلهج بـ المنطق ما نوعه وما سببـــه
والشعر لمح تكفي إشارتــه وليس بالهذر طولت خطبـــه[١].

وكانت الاتجاهات الأدبية في ذلك العصر تشمل ثلاثة مذاهب "اتجاه محافظ يرى أن الشعر يقاس بتقاليده لدى كبار الشعراء من لدن امرئ القيس، وهو اتجاه اللغويين، ويقابله اتجاه آخر مسرف في التجديد بحكم اتجاهه للثقافات الحديثة، واتجاه ثالث معتدل يقف موقفا يأخذ فيه أفضل ما لدى كل اتجاه منهما ويمثله الجاحظ، وقد غلب هذا الاتجاه الاتجاهين السابقين، ولا شك أن البحتري غلبت كفته عند الاتجاه المحافظ وعند عدد غير قليل من الاتجاه المعتدل"[٢]، وبهذا يختلف مذهب البحتري عن مذهب أبي تمام "فقد استطاع البحتري أن يحافظ على الموروث العربي للقصيدة، بالإضافة إلى بعده عن مذهب التصنيع الذي أغرق فيه ألفاظه الشاعر أبو تمام، فكانت ألفاظه من السهولة والرقة. وليست سينية البحتري برقة ألفاظها بخافية على دارس شعر البحتري"[٣].

وبرغم اختلاف اتجاه البحتري عن اتجاه أبي تمام فإن البحتري كان ينظر إليه نظرة التلميذ لأستاذه ويعترف بفضله عليه دائما في كثير من الروايات، ومن ذلك قوله ردا على من يزعمون أنه أشعر من أبي تمام: "والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولو وددت أن الأمر كما قالوا، ولكني والله تابع له، لائذ به، آخذ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه"[٤]، ويرى الصولي أن البحتري محق في ذلك وأنه تابع لأبي تمام، بخلاف الآمدي مثلا الذي انحاز في موازنته بين الطائيين للبحتري في باب المديح بخاصة، حيث كثر

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٣،ج١.
(٢) محمد أبو الأنوار، الشعر العباسي، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٣٣١.
(٣)- سعاد صالح عبد المطلب، صفحات من الأدب العباسي، دار الهاني، القاهرة، ٢٠٠٥،ص٩.
(٤) الصولي، أخبار البحتري، ص٦٧.

وصف أبيات أبي تمام وعباراته بالرداءة والركاكة والغموض وعدم ملاءمة اللفظ لموضعه، في حين شهد للبحتري بالحذق والبراعة وما أخذ عليه سوى هنات لا ذكر لها بالمجمل[١].

ويعد البحتري امتدادا لزهير بن أبي سلمى في ثقافة تهذيب القصائد والعناية بها بعكس أبي تمام، وفي ذلك يقول العسكري: "كان البحتري يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فيخرج شعره مهذبا، وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير"[٢].

ولعل تلك العفوية التي نسبت إلى أبي تمام هي ما جعلت بعض أشعاره تتسم بالغرابة وعدم الوضوح، وهو ما جعل البحتري يقول في موضع آخر:" إن جيده خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه"[٣].

وفيما يتعلق بالثقافة الدينية فإن بعض الخلفاء الذين عاصرهم البحتري كانوا على الاعتزال كالمعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)، والواثق(٢٢٧-٣٣٤هـ) وكانا شديدي التعصب لمذهبهم وللدعوة إليه، ولكن في عهد المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) استعاد الفقهاء وأهل السنة نفوذهم ومقامهم وقام المتوكل بطرد أهل الاعتزال من الوظائف العامة[٤]، أما مذهب البحتري فيتضح من تلك الرواية التي رواها الصولي عن إبراهيم الكجي حيث يقول: "قلت للبحتري:ويحك أتقول في قصيدتك التي مدحت بها أبا سعيد:

أأفاق صب من هوى فأفيقا أن خان عهدا ام أطاع شفيقا

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ويحرفون كلامه المخلوقـــا

أصرت قدريا معتزليا؟ فقال: كان هذا ديني في أيام الواثق، ثم نزعت عنه في أيام المتوكل؛ فقلت له: يا أبا عبادة هذا دين سوء يدور مع الدول"[٥].

ويتبين من تلك الرواية أن البحتري كان يدور كذلك مع الدول فيكون على دين ملوكه مثله مثل طائفة كبيرة من الناس الذين يتبعون رؤساءهم من دون إيمان حقيقي أو عقيدة راسخة، ونجد صدى ذلك في موقفه من بعض الشخصيات التي مدحها البحتري ثم هجاها بعد ذلك مع تغير الأحوال.

---

(١) راجع: الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٥ ،٢٠٠٦، ص٣٣١.
(٢) العسكري، الصناعتين، ص ١٢٩.
(٣) الصولي، أخبار البحتري، ص ٦٤.
(٤) راجع: حسن خليفة، الدولة العباسية، المطبعة الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٥، ص١٤٧.
(٥) الصولي، أخبار البحتري، ص١٣٥